

منابع الهالة الروحية والقدسية للأولياء الصالحين - الولي الصالح سيدي يعقوب التلمساني نموذجاً -

The sources of the spiritual and sacred aura of the righteous parents - The good guardian, Sidi Yaqoub Al-Telmisani, is a model –

بوشيكخي علي

جامعة الجيلالي ليايس بسيدي بلعباس (الجزائر)، alibouchikhi022@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/10/10

تاريخ القبول: 2022/09/28

تاريخ الاستلام: 2022/03/03

ملخص:

تعتبر ظاهرة زيارة الأولياء وتقديسها في الجزائر من الظواهر التي يرجع تاريخها إلى نشأة الرباطات والزوايا، ولا زالت مستمرة ومتجددة في ثقافتنا الشعبية ومؤثرة في حياتنا اليومية، فزاوية المرابط والولي الصالح سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني دفين ولهامة بولاية عين تموشنت واحدة من هذه الأماكن المقدسة لاعتقاد الناس فيها وأصبحت مزارا للوافدين إليها من مختلف المناطق المجاورة ومن المنطقة المدروسة نفسها.

حيث تهدف هذه الورقة البحثية إلى وصف هذه الظاهرة والتعريف بهذا المعلم التاريخي والديني والثقافي والعلمي، والكشف عن منابع الهالة الروحية لهذا الولي الصالح التي شكلت وعي الساكنة والزائرين، معتمدين على المنهج الوصفي والملاحظة بالمشاركة والقراءات المكثفة حول هذا الموضوع، حيث توصلنا من خلال هذا العمل إلى أن للولي الصالح منابع رمزية لما له من علم وكرامات وانتساب للسلالة الشريفة، مما شكل هالة وسلطة روحية وقدسية في تصورات الساكنة والزائرين من مختلف البيئات الاجتماعية.

كلمات مفتاحية: الولي، الضريح، الزاوية، المرابط، البركة، المقدس.

Abstract:

Le phénomène de la visite des saints et de leur sanctification en Algérie est l'un des phénomènes remontant à l'émergence du ribat et des angles, et il est toujours continu et ancré dans notre culture populaire et affectant notre vie quotidienne. Et c'est devenu un sanctuaire pour les arrivants. à lui de diverses régions voisines et d'une même zone étudiée.

Là où ce mémoire vise à décrire ce phénomène et à présenter ce repère historique, religieux, culturel et scientifique, et à révéler les sources de l'aura spirituelle de ce bon gardien qui a formé la conscience des habitants et des visiteurs, en s'appuyant sur l'approche descriptive et observation par participation et lectures approfondies sur ce sujet, où nous sommes parvenus à travers ce travail indique que le gardien juste a des sources symboliques en raison de sa connaissance, de sa dignité et de son affiliation à la dynastie honorable, qui a formé une aura et une autorité spirituelle et une sainteté dans le perceptions des résidents et des visiteurs de différents milieux sociaux.

Keywords: The saint, the mausoleum, the corner, the moorate, the pond, the sanctuary.

مقدمة:

يعود تاريخ ظاهرة الأولياء وتقديسها وزيارة الأضرحة في الجزائر إلى نشأة الرباطات والزوايا وقد عرفت هذه الظاهرة انتشارا واسعا في الجزائر خاصة في الأوساط الشعبية وتداخلت عدة عوامل سياسية واجتماعية ودينية في تطورها ضمن التيار الصوفي نتيجة التحولات في جميع المجالات بداية منذ القرن الثالث الهجري بالموازاة مع امتداد الدين الإسلامي في مختلف مناطق العالم، وتحولت الممارسة الصوفية من العبادة الفردية بين الإنسان وربه، أي من سلوك ديني وممارسة زهدية تعبدية إلى نشاط اجتماعي وثقافي، وهذا بعد سيطرة الموحدين على البحر المتوسط، وسواحل المغرب الأوسط، حيث اتجه أهل الرباط إلى ممارسة العبادة والذكر ونشر الدين وعزفوا عن مهامهم الدفاعية وأصبحت الزوايا بمثابة الإشعاع الفكري في وقتها، محافظة على مصادر التراث الثقافي وتزايد أعدادها خاصة مع ظهور الطرق الصوفية خلال القرن الخامس عشر ميلادي. وأصبحت تمثل ما يعرف بالتدين الشعبي، "حتى لحكام العثمانيون جعلوا من التصوف عقيدتهم ووجدوا الطرق الصوفية الحليف السياسي لهم وظلت الزاوية هي الإطار الاجتماعي الأساسي للمعرفة والدين والسياسة وملجأ للناس" (الشرقاوي، 1976، ص.46). تأسست العديد من الطرق الصوفية والرباطات والزوايا في الجزائر، واختلفت من حيث هندسة بنائها وموقعها وتعددت أدوارها و مست كل الميادين.

و يعتبر تاريخ الزوايا هو امتداد للتاريخ الاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمع خاصة الغرب والجنوب الجزائري ومنطقة القبائل ومن هنا انتشرت ظاهرة الأولياء والصلاح واعتقد الناس فيهم بشكل كبير وشكلت أضرحتهم هالة قدسية تجذب إليها الزائرين بفضل كرزمانية أصحاب هذه الأماكن المقدسة، وكرامتهم يقصدونها للتبرك من وطلب الأمنيات من جهة والبحث عن الحلول وما يعترضهم من صعوبات العيش من جهة أخرى.

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يشكل حلقة هامة في التاريخ الجزائري الديني والثقافي، ويبرز الدور الكبير الذي لعبته هذه الأماكن في مختلف المجالات، كما تبرز أهمية هذا الموضوع في التفكير في تراثنا الثقافي الذي يشكل ضرورة ملحة تفرضه التغيرات الثقافية والسياسية التي يشهدها العالم اليوم ونهدف إلى التعريف بهذا المعلم التاريخي والثقافي والعلمي الذي ارتبط بتاريخ

منطقة ولهامة بصفته تراثا ثقافيا ماديا وغير ماديا معتمدين على المنهج الوصفي واستعمالنا للمقاربة الانثروبولوجية من خلال الملاحظة بالمشاركة .

إن المرابط الولي سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني صاحب زاوية ومسجد سيدي يعقوب المتواجدة بولهامة بولاية عين تموشنت ،فهو واحد من بين العديد من الأولياء والصلحاء التي تزخر بهم هذه المنطقة الضاربة في أعماق التاريخ، لما له من صفات خارقة، وكرامات ولا زال يحظى بكثير من التقدير والاحترام من الأجيال، هذا الرجل الصالح مؤسس زاوية سيدي يعقوب التي ظلت فضاء مأثورا ومزارا للساكنة لاعتقادهم في نسبه وكرامته وبركته وشكل رمزا في مخيالهم يقصدونه بغية الاكتشاف من خلال ما يعرف بالسياحة الثقافية والدينية، أو التبرك أو قضاء الحاجات.

سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية الكشف عن منابع السلطة الروحية والقدسية للولي الصالح و المرابط سيدي يعقوب التلمساني دفين ولهامة بولاية عين تموشنت وإبراز أهم الخصائص الاعتقادية التي جعلت الزائرين يتوافدون على هذا المكان وتقديسه والتمسك به؟ وتفسير أسباب استمرار هذا الظاهرة المتجذرة في ثقافتنا الشعبية ومدى تأثيرها في الحياة اليومية رغم هذا التطور التكنولوجي الرهيب، والبحث عن العوامل التي ساعدت على هذا الإقبال الشعبي على الضريح؟ كما أننا سنوضح بعض من الممارسات والطقوس المربوطة بهذا الرجل الصالح من خلال ملاحظتنا ومعاينتنا لهذا الضريح.

وزاوية ومسجد سيدي يعقوب هي من زوايا المرابطين العائلية وهي بمثابة مؤسسة للطلبة ونشر العلم واستقبال الغرباء والبؤساء والمحرومين الذين يبحثون عن ملجأ أو هو مكان للزوار" وهي ليست لها طريقة صوفية تتبعها ومريدين تابعين لها فالمرابطون يعملون بمكانها دون مقابل على الرغم من فقرهم واحتياجهم "(نسيب، 1989، ص.106). المرابط ليس ورد أو أذكار ينتهي إليها فهو ينتهي إلى القبيلة عن طريق الولاء "من أهم وظائف الزاوية العبادة والتعليم وإيواء الطلبة والتكفل بالحجاج والمسافرين " (Louis rinn, 1884, p.18).

والرباط تعني الالتزام بالعهد، وهو "المكان الذي يتم الاعتزال فيه قصد العبادة رفضا لكل مذهب مخالف للسنة "(ظريف، 1992، ص.32). واقترن الجهاد لدى المسلمين بالرباط والمرابطة، أي ملازمة الثغور حيث ترابط خيل المجاهدين. ودلالة الرباط مأخوذة من الربط وهو المكان الذي

تجتمع فيه الخيل وجاء في سورة الأنفال الآية 60 " واعدو لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم". و"تاريخ الرباطات يعود إلى أواخر القرن الثاني للهجرة، حيث أسست على طول الساحل الجزائري من ميناء القالة شرقاً إلى ميناء الغزوات غرباً" (العقبي، 2008، ص.223). والمرابط هو الجاهد، وقامت الرباطات في الثغور وأماكن الخطر الأجنبي وينتسبون إلى النسب الشريف "فالمرابطون هم المجاهدون الذين يحمون الثغور، ثم انحصر نشاط الرباطين في أعمال البر والتعليم وإصلاح ذات البين وتأمين الطرق، وفي اصطلاح الفقهاء هو عبارة عن احتباس النفس في الجهة والحراسة، وعند المتصوفة عبارة عن الموضوع الذي يلتزم في العبادة" (ابن مرزوق، 1981، ص.41). وكان هذا المكان يهدف بالدرجة الأولى إلى الدفاع عن السواحل المستهدفة من الأجنبي ولعب أدوراً كبيرة في نشر التصوف والمبادئ العلمية والتربوية.

أما مصطلح الزاوية، يقصد بها العكوف على العبادة وتلقي العلم، ورباط المجاهد وهي خلوة للعبادة وكانت رباطاً للمجاهدين وهي الخانقات في المشرق وتحتوي الزاوية أيضاً على مدرسة قرآنية التي يتلقى فيها أطفال القبيلة العلم، والزاوية ركن من أركان المسجد يأوي إليه المتعبد مع أتباعه، وتقام فيه الصلوات وتلقي الدروس التي يحضرها المشايخ ويضم قبة وضريح يحمل اسمه وهذا هو حال زاوية ومسجد الولي الصالح سيدي يعقوب التلمساني.

1. جغرافية المكان:

تقع زاوية ومسجد سيدي يعقوب ببلدية سيدي ورياش دائرة ولهاصة غرب مدينة عين تموشنت وتقع على أهم المرتفعات جبل بلكثوم على ارتفاع 367 م يحده من الشمال دوار سيدي يعقوب من الجنوب واد الصفصافة ومن الشرق منحدر ومن الغرب هضبة تطل على شاطئ البحر المسمى بمرسى سيدي يعقوب ويبعد حوالي 80 كم غرب واد التافنة والذي يبعد عن مقر الولاية بـ 64 كم. بنيت الزاوية والمسجد سنة 1338 م الموافق لـ 739 م تحت هضبة تطل على شاطئ البحر بحيث يحتجب عن العيون من عرض البحر (Monographie.1990. p7).

ومنطقة ولهاصة هي نوميديّة بربرية، وإقليمها ذا طابع فلاحي ولعبت الزاوية دوراً في المقاومات الشعبية وإبان الثورة التحريرية " كمعركة سيدي يعقوب التي قادها الأمير عبد القادر بنفسه على صهوة جواده" (العربي، 1982، ص.134). وكان مرفوقاً بخليفته علي تلمسان البوحمدى الولهاصي

وهذا بتاريخ 1836/04/25 وكان يقود الجيش النظامي الفرنسي في تلك الفترة الجنرال دارلانج كما لعب المسجد والزاوية دورا توعويا إبان ثورة التحرير وأصبح هذا المكان ملتقى الثوار للتخطيط وضرب معاقل العدو.

1.1. الوصف المعماري للمكان :

المسجد للزاوية ذو شكل مستطيل وبه ثلاثة مداخل، ويستند هذا المعلم على التاريخي على أربعة أعمدة مربعة الشكل، تحمل ستة أقواس دائرية وسقفه المنجز من الخشب تحفة فنية منحوتة منقوشة ويحتوي على أشكال وزخارف هندسية رائعة تشبه الزخارف الموجودة بفاس بالمغرب الأقصى وتحتوي ساحته على حفر فيها جب مليء بالماء الوافدة من الأمطار تستعمل للوضوء وللتنظيف كما يوجد للمسجد مئذنة مربعة الشكل للدلالة على المذهب المالكي. وفي الكتابات التاريخية يرمز المربع، في أحد المقاييس للعناصر الأربعة: تراب، ماء، هواء، نار، يعتبر المربع هو الشكل الرمزي للاستقرار بامتياز (سيرينج، 2009، ص.377). ومن الخارج فهو عبارة عن صفوف متوازية ومتناسقة من القرميد الأحمر أنجزت بشكل هرمي لمنع تجمع مياه الأمطار على السقف.

فمن هو سيدي يعقوب التلمساني؟

2.1. نبذة عن سيدي يعقوب:

هو سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني يرجع أصله إلى الجد الأكبر سيدي يعقوب الشريف دفين جبل مغراوة بالظهرة مازونة، وهو من نسل الشيخ يعقوب الشريف كما تثبتته بعض الكتب منها كتاب السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أسباب أهل البيت المطهر أهله بنص الكتاب لصاحبه احمد بن محمد العشماوي. ولد في القرن الثالث عشر وختم القرآن في الثامنة من عمره وتعلم الفقه وأصوله، وبعد عودته من فاس نزل الولي إلى بلدة ولهافة الغرابة الساحلية بولاية عين تموشنت وجاور البحر الذي يسمى باسمه مرسى سيدي يعقوب وراقب حركة البواخر المتربصة، عمر الولي إلى سن متأخرة وانكب على التبليغ والوعظ والإرشاد وتخرج على يده أئمة وفقهاء، منهم الشيخ سيدي يعقوب احمد الذي هاجر إلى بلاد المشرق لطلب العلم وهو صاحب مخطوط نور البصائر لمعرفة تسيير السائر .

2. اختيار المكان ورمزيته:

إن اختيار الولي الصالح لهذا المكان لم يكن اعتباطيا بل كان يمثل الخلوة لتربية النفس وتزكية القلب، فالخروج للخلوة هو التقرب إلى الله في جل الأوقات والكف عن جوارح المكروهات.و لم يكن مكانا ذو أبعادا هندسية بل كان مكانا له دلالات رمزية يجسد فيه انجاز مهمته ، ويعيش فيه ويمارس نشاطه الجهادي والعلمي .

فهناك العديد من المتصوفة الفقراء والسياح والبحارة الذين اختاروا الزوايا والرباطات البحرية للعيش فيها، وقد عرف الرباط تحولات عديدة ،فتنوعت أدواره ووظائفه، كالعلم والعبادة والتعليم، كان في القديم اختيار الجبال والقمم البعيدة عن الإنسان لممارسة الطقوس، وحسب بعض المؤرخين أن علوها يسمح باقترابه من الشمس والقمر وفي معظم المعتقدات الإنسانية هي مكان مقدس، وظهر جليا في الحضارات العبرية والبابلية لتسهيل نزول الآلهة (كيحل، 2012، ص.45)، والأماكن المرتفعة تحمي الأهالي من الشرور "وتتخذ الأضرحة المبنية فوق قمم الجبال كمرصد طبيعي لكل ما يجري في السواحل" (Dermenghem.1982.P.24) "والجبل كان دائما مأوى للصالحين ومكان للتعبد" (سعيد، 2018، ص.223). فاستمرارية قدسية الجبل والأماكن المرتفعة لممارسة الطقوس منذ ما قبل التاريخ وحتى في الفترات البونوية، الرومانية وفي الفترة الإسلامية وتعرف المناطق البحرية التي بها أضرحة ومقامات لأولياء الصالحين إقبالا كبيرا يأتون إليها للاغتسال بمياهها والتبرك بالولي وبكرامته. و"تحمل بعض الأمكنة دلالات دينية تخرجه من مكانها المعهود وتدخلها في فلك المقدس، فتتصل بما يشير إلى الأبدية والتعالى، حينها يتحول هذا المكان إلى جسر بين المرئي واللامرئي ما بين الغياب والحضور" (كيلاني، 2005، ص.8). فالمجتمع هو مصدر الدين، وهو سلوك يحتوي على التقديس والاحترام والشرف، والمجتمعات تبحث دائما عن رموز تقديسها، واعتبر علماء الأجناس والاجتماع أن هناك علاقة وثيقة بين الدين والطقوس، ومكونا أساسيا للهوية والوجود، وجزءا من التراث الثقافي، وفي رأي ديركايم" هو مجموع الأشخاص والأشياء والأفعال الاجتماعية قررت الجماعة أن تضعها خارج المألوف والطبيعي، فالأشياء المقدسة لا تملك شيا يجعلها كذلك، فأخذت طابع التقديس، لا المجتمع هو الذي منحها ذلك من خلال جعلها خارجة عن المألوف، واتخذتها كرموز مقدسة" (الخريسي، 1990، ص.162).ومن هنا كن اختيار هذا المكان المرتفع والذي فرض طقوسه وخصوصيته على الوافدين اليه.

وتعددت واختلفت المصادر حول تعريف الولي ولكن في أوساط الشعبية له مفهوما واحدا "هو أن الولي رجل صالح يتميز بالتقوى وتظهر على يده كرامات، وخوارق سواء في حياته أو مماته كما يمكن أن شخصية حقيقية أو أسطورية، تحولت إلى كائن مقدس واصطبغت بطابع التقديس" (جدي، 2009، ص.122).

وظاهرة تقديس الأشخاص يعود تاريخها إلى الزمن البعيد وحسب عالم الأجناس راد كليف براون هي تلعب دورا كبيرا في تماسك واستمرار البناء الاجتماعي وفي عملية الضبط الاجتماعي، وكما جاء في تاريخ الأديان حسب إيتيلور عبادة الأجداد نشأت من الاعتقاد بالأرواح، فإذا ماتوا، فأرواحهم ترفرف في سماء الأسرة، وهذا الاعتقاد هو إلى حمل البشر على عبادة الأسلاف، والولي حسب ما جاء في لسان العرب لابن منظور هو "الناصر، والشخص التقي، ومالك الأشياء جميعا والمتصرف فيها" (ابن منظور، ص.4920). ويقترن بمعاني النصر والتدبير والملك والتصوف، والقرب والتمكين في مواضع أخرى من التفكير، والولاية "هي الدائرة الكبرى التي يتولى الله فيها من شاء من عباده الذين تتفاوت مراتبهم، ودرجاتهم وتنوع إسرارهم وتجليات الله عليهم" (زيدان، 1991، ص.120).

1.2. ارتباط الولي بالكرامة :

انتشرت الروايات والأخبار العجيبة عن الأولياء وعمما يصدر عنهم من كرامات وخوارق وأصبحت الكرامة ظاهرة افرزها الانتشار الواسع للتصوف في الأوساط الشعبية عن طريق التراث الشفاهي خاصة الأساطير التي تعتبر نسقا فكريا، فربطها بالواقع يفرز أفاقا معرفية جديدة وتغييرات للواقع والكرامة هي أكبر دليل على ولايتهم وهي دعامة أساسية لكونها تزيد من شهرة الولي و"لا كرامة إلا للولي ولا ولي بدون كرامة" (الجوهري، 1981، ص.112).

وقد بلورها الاعتقاد الشعبي وجعلها تظهر في صورة جذابة وتناقلها في قوالب أسطورية وحضرت تمثلات الولي في أذهان الساكنة ترمز للقدرة على إتيان كل ما هو خارق وشكلت الكرامة للأولياء في مخيال الفرد نوعا من القداسة مما أدى إلى الارتباط واستمرار ظاهرة الأولياء أو الزوايا والإقبال عليها وأصبحت تمثل السلطة الروحية. وصورت لنا الأساطير قدرة الأولياء على التحكم في المياه، فيكونون هم العلة في تدفقها أو جفافها. ويوجد الكثير من المفكرين والعلماء والمؤرخين كابن

خلدون يعتبرون" الكرامات مظاهر أصلية وعلامات على الارتقاء إلى الولاية وبالتالي برهانا قاطعا للتعريف بين المتصوف الحقيقي والدجال " (أبو زيد ، 1983 ، ص.468).

وعن كرامات الأولياء يقول النبهاني "وجود الأولياء في الأرض من جملة معجزات النبي صل الله عليه وسلم، لأنهم بهم تنقضي حوائج العباد، وبركتهم يدفع البلاء عن البلاد، وبدعائهم تنزل الرحمة، وبوجودهم تصرف النعمة." (الاسكندري، 1977، ص.86).

وتنسب للولي سيدي يعقوب كرامة الدعاء المستجاب، والتأثير الخارق في الظواهر الطبيعية، سواء كانت في الضر أو النفع ويحكي عنه" انه بينما كان يتعبد بجوار البحر إذ بسفينة تجارية أندلسية تنحرف بقرب المرسى "مرسى سيدي يعقوب الحالي" فسارع الولي لمساعدة بحارتها ولرد الجميل طلب رئيس الباخرة من الولي هل يقبل المكافئة، فرد عليه سيدي يعقوب: أنا بحاجة إلى خشب لإقامة بناء، وذكر الولي الكيفية التي تشحن بها الأخشاب قائلا: إذا عدتم إلى بلدكم ارموا بالحزم إلى البحر وقولوا: هذه أمانتك يا يعقوب وستصل الشحنة إلى المكان المعلوم بإذن الله. ففعل البحارة ما طلبوا به، ولما وصلت الحزم أراد سكان القرى المجاورة الاستيلاء عليها بالقوة فحاولوا سحبها على الشاطئ لكنهم لم يستطيعوا لأنها ثقيلة ثقل الرصاص بقوة من الله. فغضب منهم الولي على فعلتهم وأمر معلمي البناء الذين حسب هذه الرواية جلبهم من فاس أو تلمسان بنقل الخشب وبمساعدة بعض الساكنة إلى المكان المعين للبناء والي يبعد عن البحر ب700م." وهذا هو الخشب المنقوش والمنحوت الذي زين به مسجد الزاوية سيدي يعقوب كما اشرنا إليه أنفا في الوصف المعماري. ومن هنا أصبحت الروايات والقصص عن الولي تعبر عن وجدان الساكنة هن عامة الناس وحتى الوافدين للمزار المقدس وكانت الكرامة والخوارق هي المحفز لزيارة الأضرحة والاعتقاد فيها، واستمرارها وجودها.

ارتبطت الكرامة بالنسب الشريف فأصبح خصوصية مغربية ذات قداسة متلائمة مع المنطقة ومتجذرة في التاريخ " وصار القسم الغربي من الشمال الإفريقي ،بؤرة للصوفية الأشراف، تصدروا تزويد قبائل البربر كلها بأشراف وأولياء حاملين البركات" (الفريد، 1987، ص.433). ومن هنا بنى الأولياء والمتصوفة شرعيتهم على شرف النسب وأمجاد الأجداد وأصبحت رمزا للأصل والسلالة الطيبة. وارتبط انتشار التصوف ببلاد المغرب خلال القرن الخامس عشر بالاهتمام بالأسر الشريفية والتي ينحدر نسبها من البيت النبوي مما جعل المجتمع المغربي يعتقد في سلطة

المرباط واتخاذها واسطة له وانخرط العد الكبير في الزوايا وقدس أوليائها في حياتهم وأضرحتهم بعد مماتهم. "وأى شخص يكون نسبه للرسول "صلعم" يملك شرعية أكبر في إنشاء زاوية وله سلطة في طاعة الناس له" (boubrik.1999.p138). والشرف والانتساب هو شرط أساسي وارثي للبركة، وامتلاك السلطة الروحية. "هذا الشرف يستمدون منه الشرعية وتظهر السلطة كقوة مرتبطة بالقوى التي تحكم الكون وتحافظ على الحياة فيه" (بالاندييه، 1987، ص. 87). أصبح النسب الشريف مطلب العامة والخاصة من المرابطين والصوفية وفي هذا السياق جاء إثبات النسب الشريف للشيخ والولي الصالح سيدي يعقوب في كثير من الكتب مثل ما كتبه أبو بكر بن محمد السيوطي المكناسي حول أشرف تلمسان، وحسب أهل التصوف فالولي هو المتصف بالأخلاق وله القدرة على شفاء المرضى والتنبؤ بالمستقبل ويرتبط مفهوم الولاية بالكرامات والخوارق ويضلون أحياء حتى بعد أن تختفي أجسادهم تحت الثرى في أضرحتهم ويواصلون التدخل والتوسط عند الإله لقاصديهم من الناس، وحسب حمدان بن خوجة إن ما يتميز به المرابطون من صلاح وشفاء والعمل لله مع صفات أخرى كالنسب والكرامات فإنهم يحاطون بتقدير واحترام، وعندما يموتون يدفنون في قبر يحاط بتابوت يطلق عليه اسم ضريح، وتبقى مكانتهم تحظى باحترام وإجلال بعد وفاتهم. فمشروعية البرهان والنسب هذه تفرض على الأفراد شعورا مميزا هي درجة عليا تتحقق بالقرب أو الوصول ومن شروطه الأساسية الطهارة، طهارة في البدن من كل دنس وتزكية النفس والقلب "الطهارة في أعلى مظاهرها تصبح مرادفة للقداسة" (أبو العلا، 1969، ص. 29). فالدلالة الرمزية للماء تعبر عن مرامي التطهير الارتقائية التي تشير إلى ضرورة صفاء ونقاؤه، والماء عنصر أساسي من عناصر الطهارة "الهدف الأساسي لطقوس التطهير هو تحضير الجسد لدخول العالم المقدس" (Malek .1993.p129). ومن هنا تأتي الدلالة الرمزية للنسب الذي كان موجودا بجانب المسجد الذي بناه الولي سيدي يعقوب ولأزالت آثاره موجودة إلى يومنا هذا.

2.2. البركة والتبرك:

ارتبطت البركة بالكرامة وهي إحدى الظواهر الدينية التي أفرزها التصوف والاعتقاد في الأولياء وتعددت تسميات مفهوم البركة وحسب علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا من خلال أعمالهم الميدانية على المجتمعات البدائية، أطلقوا اسم البركة على شمال إفريقيا وطابو على أهالي بوليفيا ومانا على أهالي ميلانيزيا وطوتم على هنود أمريكا الشمالية وأستراليا (بريتشارد، 1986، ص. 164).

فتشير البركة إلى الطهارة والقداسة والمبارك هو المطهر والمقدس ونقصد بها أيضا الزيادة في الخيرات والمنافع المادية والروحية "إن ظاهرة بحث الأفراد عن الحلول يستعينون بها لقضاء حوائجهم لمشاكله النفسية وتقديس الأولياء مسألة طبيعية نابعة من الشعور بالضعف، ولا يمكن حل مشاكلهم الاجتماعية إلا في تجسيد قوة الخالق في الصالحين من الأموات والأحياء" (مكحلي، 2020، ص.80). ويقصدون الأضرحة بدافع الزيارة هذه الطقوس والعادات التي "تحولت من ممارسة فردية تأملية إلى ممارسة جماعية منظمة انضمت فيها كل فئات وطبقات المجتمع، غلب عليها المؤسساتي للتصوف والطريقة مع ما يحمله ذلك من رمزية، وقدسية وأداة تنظيمية قبلية" (أمور، 1983، ص.73).

ويظهر الولي من خلال زيارة المكان المقدس وضريحه كقوة روحية للمساعدة يوفر لهم الأمن ومصدر لجلب الخير والبركة وكشخصية كاريزماتية تقوم على أساس الاعتقاد في القدرات الخارقة والممارسات، فتصبح الزاوية ملجأ للمضطهدين الذين هم في حاجة دائمة إلى شيء مخلص حسب تفسير ماكس فيبر، بحيث "يمتاز الولي بالشخصية الكاريزمية حيث يستمد سلطته على أتباعه من خلال قوة شخصيته واعتقادهم بالخصائص القيادية الفريدة أو التأثير السحري أو الإيحاء وقدرته على صنع الخوارق التي لا يقدر عليها الإنسان العادي. (الهواري، 2010، ص.3).

ومن العادات والطقوس والممارسات داخل هذا الفضاء إلزامية نزع الحذاء كرمز للتقديس والتبجيل للاتصال المباشر بين الزائر والضريح والطواف وإشعال الشموع لما له من رمزية حسية لفكرة نشر النور لأن النور يشير إلى السماوي، والظلمة إلى الأرضي هذه الطقوس التي خلقت لهم نوعا من التوازن النفسي والجسدي الاجتماعي كما تتجلى مظاهر التقديس أيضا في مسح الرأس للزائر من طرف المشرف على الزاوية وعادة يقوم بها الإمام والمشرف على مسجد الزاوية، فطبيعة التمثلات الدينية والثقافية والاجتماعية لدى الأفراد حول الولي صاحب الحلول المطلقة والخارقة في الشفاء من الاعتلال خاصة الأمراض المستعصية، و"الناس يعتقدون في الأضرحة ويقدمونها ويصلونها، ويلجئون إليها عندما يعم اليأس من العلاج في حالة المرض". (مكحلي، 2020، ص.95). واعتقادهم في دعائهم ويشفهم من الأمراض والبحث عن الطمأنينة، ومشاكل الحياة و"كل ولي عند العامة قادر على علاج مرض أو أكثر" (سعد الله، 2007، ص.250).

"يحصلون على البركة من خلال التجول وعن طريق الاتصال القرابي أي نسب الشرف أو الانحدار النسبي" (كليفورد، 1993، ص.87). "وبركة الولي يستغلها أتباعه وأخلافه واسمه كعلامة على الانتماء والنسب الديني، وارتباط النسب بالهوية". (ترمنجهام، 1994، ص.35) "

خاتمة:

من خلال هذا العرض والتحليل نستنتج إن هذا الولي يشكل هالة روحية وقدسية في تصورات الساكنة، وله تأثير ديني، نفسي، اجتماعي وثقافي على ذهنيته، فحاجة الإنسان الدائمة لتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي جعل من هذه الظاهرة توجه سلوكهم وتضبط اجتماعيتهم، واستنجدوا بالولي من خلال ضريحه واستحضروا بركته بسبب المواقف الصعبة التي واجهتهم في الحياة اليومية وحظي هذا المقام المقدس بمكانة متميزة وظل مزارا شعبيا يتبركون به ويطلبون المعونة ليقضي حاجاتهم ويفرج عنهم الكربات.

فرمزية المكان وانتساب الولي سيدي يعقوب للنسب الشريف وكرامته وعلمه هي بمثابة المنابع والمصادر، التي جعلت من هذا الرجل الصالح شخصية مقدسة وصاحب سلطة روحية وخلقت نوع من القوة غير الطبيعية، ولا يمكن تناول إحدى هذه العناصر بمعزل عن الآخر كما بات هذا الضريح المزار يمثل المخلص الذي يساعد الناس على تجاوز مصاعب الحياة، وخلق نوعا من التوازن العاطفي المفتقد في حياة الأفراد اليومية، وأصبحت بمثابة تعبير رمزي عن أفكارهم ومشاعرهم وشكلا من أشكال الاتصال.

وإن الاعتقاد في الولي الصالح شكل شعورا جمعيا جعلته بديلا عن الحكومة السياسية و التموقع على مستوى العقائدي كبديل عن الهيئة الدينية الرسمية. فالروايات والأساطير والحكايات والخوارق المرتبطة بالأولياء عظمتهم ومنحتهم هالة حولهم وخلقت علاقات تلاحم بين الضريح وبين الأفراد.

وتعتبر هذه الروايات المنسوجة حول الولي من العوامل التي أسهمت بشكل كبير في استمرارية ظاهرة الأولياء التي أصبحت موجها للسلوك وضابطا اجتماعيا بامتياز، من خلال التنشئة الاجتماعية الأسرية والتفاعل المستمر للأفراد مع التراث الثقافي المادي وغير المادي خاصة الروايات

التي تحكى للأطفال، كتلك المتعلقة بكرامة الولي سيدي يعقوب مما يبيلور شخصية الأبناء ويعيد إنتاج ذلك التراث الثقافي المقدس ويتوارثه الأجيال ويستمر في الوجود.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الشرقاوي، عفت محمد. (1976). الفكر الديني في مواجهة العصر دار المعرفة، بيروت الطبعة 2.
2. محمد، نسيب. (1989). زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر، الجزائر.
3. محمد ظريف. (1992). مؤسسة الزوايا بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، المغرب.
4. صلاح، مؤيد العقبي. (2008). الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، الجزائر.
5. ابن مرزوق، المسند الصحيح، الحسن في ماثرومكاسن مولانا ابي الحسن. (1981). دراسة وتحقيق ماريا خسوسبيغرا، تقديم محمد، بوعياد، دط، دت، الشركة الوطنية الجزائر.
6. إسماعيل، العربي. (1982). المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر.
7. فيليب، سيرينج. (2009). الرموز في الفن الديان.
8. من سجلات التصنيف مصلحة التراث الثقافي مديرية الثقافة لولاية عين تموشنت، بتصرف.
9. كيجل، البشير. (2011- 2012). الحضور الديني البوني في نويميديا 814 ق م / 146 ق م، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2.
10. محمد، سعيد. (2018). الولاية والصلاح بإفريقية في العصر الوسيط الأول، المغاربية لطباعة وإشهار، تونس.
11. شمس الدين، كيلاني. (2005). رمزية القدس الروحية، قدسية المكان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
12. عبد الله، الخريسي. (1990). علم الاجتماع الديني، رامتان جدة ط2.
13. مراد، جدي. (2010). تحولات التدين الشعبي بالريفين الأوسط والشرقي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة المغرب، (2009).
14. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون. ط1، دار المعارف، مصر، دت.
15. يوسف، محمد طه زيدان. (1991). الطريق الصوفي وفروع القادرية، بمصر، دار الجيل، بيروت.
16. محمد، الجوهرى. (1981). غلم الفلكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، دار المعرفة، ج2، الإسكندرية.
17. ابوزيد، عبد الرحمان. (1983). كتاب العبر لبن خلدون، ج6 دار الكتاب اللبناني، بيروت.
18. عبد الله، الإسكندري. (1977). مدارس التصوف، دار العلا، بيروت، ط1.
19. بل، الفريد. (1987). الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي تر عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط3.
20. جورج، بالا نديه. (1987). الانثروبولوجيا السياسية، منشورات دار الإخاء، بيروت، ط1.
21. عفيفي، أبو العلا. (1969). ابن عربي في دراستي، الكتاب التذكاري، معي الدين بن عربي، القاهرة.
22. بريتشارد، ايفانز (1986). الاناسة المجتمعية وديانة البدائين، في نظرية الاناسين، تر قبيس حسن، دار الحدائة بيروت ط2.
23. محمد، مكحلي. (2020). الأولياء والصلحاء في الجزائر الظاهرة والجزور، دار القدس العربي، الجزائر.
24. فيصل، عبد الحسن. (1983). زيارة الأضرحة في المغرب، امل بكرامات الاولياء، مجلة العرب. المغرب ط1.
25. بلعباس، الهواري. (2009_ 2010). المجتمع القبلي المغاربي بين النظريتين الخلدونية والنفسامية) دراسة نظرية - تطبيقية مقارنة (أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة مستغانم.
26. محمد، مكحلي. (2020). الأولياء والصلحاء في الجزائر الظاهرة والجزور، دار القدس العربي، الجزائر.
27. أبو القاسم، سعد الله. (2007). أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ج 3، دار البصائر، الجزائر.

28. غريتز ، كليفورد .(1993). الإسلام من وجهة نظر علم الاناسة .تر ، أبو بكر احمد دار المنتخب العربي بيروت ، ط1 .
29. سينسر، ترمنجهام.(1994). الفرق الصوفية في الاسلام، (ترجمة : عبد القادر البحاروي ، دار المعرفة الجامعية .
30. Louis, rinn. (1884) .marabouts et khoans, etude sur lislam en algerie, adolphe jourdan libraire editeur Alger.
31. Monographie de la wilaye de Ain temouchent. (1990) .A.P.C de Benisaf.
32. Emile, Dermenghem. (1982). le culte des saints dans l'islam maghrébin, édit. Gallimard, paris.
33. Boubrik, R. (1999) saints et société en islam , la confrérie ouest saharienne fadilyya, édit. : CNRS, paris.
34. CHBEL, MALEK (1993) l'imaginaire- arabo musulman édits , puf, paris.